

الحزن على الفقيد أن يكون قد ترك وراءه أطفالا صغارا بحاجة ماسة لرعايته (١) .

ولقد سبق لي أن أشرت الى أن أبناء الريف يتمتعون بميل ذكي للمرح ، ويبدو أنهم قد اكتشفوا سر السعادة ، فالحياة بالنسبة لهم جديرة بأن يحيها الانسان ولذلك فإن الكوارث الحتمية في النتيجة يجب أن تقبل كما يجب الا يسمح لها بمخالطة السعادة وانسائها . وبسبب هذه النظرة للحياة يتمكنون من انتزاع السعادة من موضوع الحزن والحداد بالرغم من استحالة الموقف الظاهرية :

مَا قَتَلْنَا إِلَّا الْكَرْشَاتِ زَرْقُ أَوْ بُرْقُ أَوْ بَايَاتِ
يَا رَيْتَا مَا طَاحَ الْبَدُ وَلَا غُمْسُ زَيْتٍ أَجْدِيدُ

ان الرجل المقصود بالبيتين السابقين لا بد أن يكون من قرية بيت حنينا المجاورة للقدس من الشمال لان أهالي بيت حنينا كثيرا ما يعمرون بأنهم يأكلون الكرشات دون أن تنظف تنظيفا لانقا .

ومن الممكن أن تلاحظ هذا النوع من المداعبة أو المضايقة يمارس على نطاق أوسع فيتعدى ما بين القرية والقرية الى المسلم والمسيحي ، فالمسلمون يقولون أن المسيحيين ينعمون موتاهم كما يلي :

دَبُّو يَا قَبِيرَ دَبُّو عَلِيشِ أَيَحَاسَبُو رَبُّو
مَاتُ أَوْ مَا نَصَحَ مِثْلِمُ عَلِيشِ أَيَحَاسَبُو رَبُّو

وإذا ما التفتنا الى الطفولة المبكرة في الريف فاننا سنجد أطفالا تلائل يسعدهم الحظ في أن يهنتوا بأسرة حديثة ، وحتى هذه فانها تكون من النوع الهزاز الرخيص . أما الاطفال الباقون فيبعد للواحد منهم « مرجوحة » أو « حذل » وهو عبارة عن كيس يطوى على حبلين مثبتين في وتدين على جانبي احدى زوايا البيت لتسمح بالارجحة ويثبت عود بالعرض عند نهايتي الكيس الطويلتين لكي يبقى الجزء الاوسط مفتوحا فلا يضغط الكيس على الطفل المضطجع فيه .